

المثل السائر

كلام عرفنا أنه فصيح بما عرفنا من حقيقتها الموجودة فيه وكذلك يقول في غير الفصاحة .
ومن أعجب ما وجدته في كتاب أنه قال أما المعاني المبتدعة فليس للعرب منها شيء وإنما
اختص بها المحدثون ثم ذكر للمحدثين معاني وقال هذا المعنى لفلان وهو غريب وهذا القول
لفلان وهو غريب وتلك الأقوال التي خص قائلها بأنهم ابتدعوها قد سبقوا إليها فيما أن
يكون غير عارف بالمعنى الغريب وإما أنه لم يقف على أقوال الناطمين والناثرين ولا تبحر
فيها حتى عرف ما قاله المتقدم مما قاله المتأخر وأما قوله إنه ليس للعرب معنى مبتدع
وإنما هو للمحدثين فيا ليت شعري من السابق إلى المعاني من تقدم زمانه أم من تأخر زمانه .

وأنا أورد ههنا ما يستدل به على بطلان ما ذكره وذاك أنه قد ورد من المعاني أن صور
المنازل تمثلت في القلوب فإذا عفت آثارها لم تعف صورها من القلوب وأول من أتى بذلك
العرب فقال الحرث بن خالد من أبيات الحماسة .
(إِنْ نَزَّيْ وَ مَآ نَحَرُّوا غَدَاةً مِنْ دِي ... عِنْدَ الْجِمَارِ يَوْ دُهُا الْعُقُلُ)

(لَوْ بُدِّلَتْ أَعْلَى مَسَاكِنِهَا ... سِفْلًا وَأَصْبَحَ سِفْلُهَا يَعْزَلُو) .
(لَعَرَفْتُ مَغْنَاهَا بِمَا ضَمِنَتْ ... مِنْ دِي الضُّلُوعُ لَاهْلُهَا قَبْلُ) .
ثم جاء المحدثون من بعده فانسحبوا على ذيله وحذوا حذوه فقال أبو تمام